

حياة السكون - 2-1

لamar إسحق أسقف نينوى
غرض السكون

أهمية وجود الغرض:

اسمع أيها الأخ الحبيب: إن أردت ألا تكون اتعابك فارغة، وأيامك باطلة وعديمة من المنفعة التي يترجاهما ذوو الإفراز من السكون: (ليكن دخولك إلى السكون بإفراز ومعرفة، وليس كيما اتفق، ولا بحسب جرى العادة، لئلا تكون مثل كثيرين).

بل ليكن لفدرك غرض وقصد، تصوب إليه كل عمل سيرتك. وسائل الذين يعرفون هذا بالتجربة في ذواتهم، وليس من القراءة فقط. ولا تهدأ حتى تخرج في جميع طرق أعمالك. (وكل قدم تضعها، فتش وافحص إن كنت في الطريق سائراً، أو زاغت إلى بعض السبل التي توصل إلى التوهان).

فتش وافحص عن عمل السكون ما هو. ولا تجر وراء الاسم فقط. بل غص وانقبض، واهتم بـلجاجة، لتدرك مع القديسين ما هو ارتفاع هذا العمل وعمق هذه السيرة.. والذى من مبدأ سكونه، ما يضع لنفسه هذا القصد وهذا الغرض، وإليه يصوب استعمال عمله، بل يعمل هكذا كيما اتفق، فهو مثل من يرعى الريح، ولا يتخلص أبداً من روح الضجر كل أيام حياته.

واحد من أمرىء يعرض له: إما أنه ما يقدر أن يتجلد في ثقل صعوبة الحبس، فيخرج من السكون بالكلية. أو أنه إن تجلد وثبت فيه، تكون قلاليته له مثل السجن وينقل إلى فيها!! قبل كل شيء، يحتاج هو الذي يجلس في الوحدة والحبس والسكون، وبالأكثر الأخ المبتدئ، إلى هذه الأشياء الثلاثة:

إلى الغرض المستقيم، وإلى تكميل خدمة الأوقات، وإلى المرشد. إلى هذه الثلاثة بالضرورة مفتقر الأخ.

أما القصد المستقيم، فمضطر إليه المتوحد. لأن بدونه جميع عمل الفضيلة باطل هو. وليس له مكافأة.

كثيرون يعملون أعمالاً كثيرة بغير غرض مستقيم. مع أن الأنمار الحقيقية لا تخرج من العمل، وإنما من القصد الذي لأجله عمل العمل.
قال القديس أنطونيوس لبولا البسيط تلميذه:

¹ مقال لقداسة البابا شنوده الثالث - بمجلة الكرازة - السنة السابعة عشرة - العدد 14 (16-6-1989)

من غير تدبير السكون، لا يمكن أن ينظر الإنسان نفسه، ويفهم آلامه، وذلك أن النفس من الأضطراب الذي يلاقيها من الخارج، ما تقدر أن تتأمل ذاتها في الحروب المتحركة عليها خفية. أما في السكون والهدوء، فنقدر على الفتك بما يتحرك من الداخل. مغبوط هو الإنسان الذي يعرف هذا، ويلازم السكون والهدوء. (إجلس في قلائك، لتأخذ تجربة حروب الشياطين).

لتتميز الأفهام الروحانية والعزاءات الإلهية التي تُعطى لك بنعمة الله، حسبما يليق بطقس عمل السكون الصغير الذي هو حفظ الأسابيع.

قال أحد الآباء: هذه هي منفعتي من السكون: إنه إذا بعثت عن المعسكر الذي أنا فيه جالس، يتفرغ عقلي من استعداد القتال، ويرجع إلى عمله.

وقال آخر: وبالداومة على السكون، بدأ قلبي يرتاح من الملاقة وأضطراب التذكارات، وتطلق عليه بعثة أمواج الطرح التي من معاني الحركات الداخلية.

وقال آخر: السكون يقطع الأسباب التي تجدد الأفكار، وداخل حصنه يبيدها. وينسى التذكارات القديمة. وإذا ما بليت الأمور القديمة ونسّيت، عند ذلك يرجع العقل إلى التقويم الطبيعي.

وقال آخر: إذا الإنسان عاين وجوهًا كثيرة، وسمع أصواتًا كثيرة مختلفة. غريبة عن هذا الروحاني، وإذا ما تحدث وتفاوض مع هؤلاء، ما يقدر أن يتفرغ عقله لينظر ذاته في الخفاء، ويتذكر خطایاه، ويهدم أفكاره، ويرصد ما يأتي عليه، ويفاوض بالصلادة خفيًا.. ولا يقدر الإنسان بدون السكون أن يقمع حواسه..